

السنة وأقسامها

الدرس
19

أهداف الدرس

- تعرف مفهوم السنة وأقسامها.
- التمييز بين أنواع السنة.
- تمثل السنة النبوية في حياتي اعتقاداً وعملاً.

تمهيد

السنة النبوية هي الأصل الثاني من أصول أدلة الأحكام الشرعية حيث أوكل الله تعالى لنبيه ﷺ مهمة التبليغ، فجاءت السنة النبوية الشريفة مبينة مجمل القرآن، وموضحة مشكله، ومخصصة عامه ومقيدة مطلقه، وكان للأصوليين اهتمام كبير ببيان معنى السنة وأقسامها وعلاقتها بالقرآن الكريم.

فما معنى السنة عند الأصوليين؟ وما أقسامها؟ وما أحكام أقسام السنة؟

المتن

قال المصنف رحمه الله:

لِلْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَلِلْإِقْرَارِ *** قُسِّمَتِ السَّنَةُ بِإِنْحِصَارِ
قَوْلِ الرَّسُولِ عِنْدَ أَهْلِ الشَّانِ *** فِي مَأْخِذِ الْأَحْكَامِ كَالْقُرْآنِ
وَالْفِعْلِ مِنْهُ إِنْ يَكُنْ فِي الْعَادَةِ *** فِي إِقْتِفَاءِ نَهْجِهِ السَّعَادَةِ
وَهُوَ لِمُقْتَضَى الْجَوَازِ يَقْتَضِي *** فَحَسْبُنَا مِنْهُ الرِّضَى بِمَا رَضِيَ
وَفِي الْعِبَادَةِ فَمَا دُونَ السَّبَبِ *** قِيلَ عَلَى النَّدْبِ وَقِيلَ قَدْ وَجِبَ
وَإِنْ يَكُنْ فِيهِ لِأَمْرِ امْتَثَلُ *** فَالْحُكْمُ فِيهِ حُكْمُ ذَاكَ الْمُمَثِّلِ

وَأِنْ يَكُنْ مُبَيَّنًا فَذَا الَّذِي *** حَدُّوا مُبَيَّنًا بِهِ قَدْ اخْتُذِيَ
وَتَأْبَتْ مَا فَعَلَ الرَّسُولُ *** لَنَا سِوَى مَا خَصَّهُ الدَّلِيلُ
وَاللِّبْيَانِ الْفِعْلُ ذُو تَحْصِيلٍ *** مِنْ نَسْخٍ أَوْ تَخْصِيصٍ أَوْ تَأْوِيلٍ
وَأِنْ يُعَارِضُ فِعْلُهُ مَا قَالَا *** فَرَاغَ مَنْ رَجَّحَ الْمَقَالَ
لَكِنْ مَعَ التَّحْقِيقِ لِلتَّارِيخِ *** يُعَدُّ أَوَّلُ مِنَ الْمَنْسُوخِ
وَأِنْ رَأَى الرَّسُولُ فِعْلًا أَوْ سَمِعَ *** قَوْلًا وَلَمْ يُنْكِرْ فَذَا مِمَّا اتَّبَعَ
إِنْ كَانَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ عَادَهُ *** وَإِنْ يَكُنْ يَخْفَى فَلَا إِفَادَهُ

الفهم

استخلاص مضامين المتن

1. أستخرج من المتن تعريف السنة وأقسامها عند الأصوليين .
2. أستخلص أحكام أقسام السنة عند الأصوليين .

الشرح

أهل الشأن: أي الأصوليين .
مأخذ: مصدر الأحكام .
نهجه: طريقه .

التحليل

يشتمل هذا الدرس على المحاور الآتية:

أولاً: تعريف السنة وأقسامها

1. تعريف السنة لغة واصطلاحاً

أ- لغة: قال ابن فارس: السين والنون أصل واحد مطرد، وهو جريان الشيء وإطراده في سهولة... ومما اشتق منه السنة، وهي السيرة. وسنة رسول الله عليه السلام سيرته. [معجم مقاييس اللغة 60/3 بتصرف].

ب- اصطلاحاً تطلق السنة عند الفقهاء على ما يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه، فتكون مقابلة للفرض، وفي اصطلاح المالكية تطلق على ما أمر به ﷺ وواظب عليه وأظهره في جماعة،

وعند المحدثين على ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية، وعند الأصوليين ما أشار إليه ابن عاصم رحمه الله بقوله:

لِلْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَلِلْإِقْرَارِ * قَسَمَتِ السُّنَّةُ بِانْحِصَارِ**

أي أن السنة عند الأصوليين قسمت قسمة حصر لما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير.

2. أقسام السنة باعتبار المتن عند الأصوليين

تبين من تعريف ابن عاصم رحمه الله للسنة أنها تنحصر باعتبار متنها عند الأصوليين في ثلاثة أقسام هي:

أ- السنة القولية، وهي ما نقل عن النبي ﷺ من أقوال لبيان الأحكام الشرعية المجملة أو المبهمة في القرآن الكريم، أو تخصيص أو تقييد أو تأسيس أحكام شرعية، وكل ذلك من مقتضى البيان الموكول للنبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: 44] وأمثلة هذا القسم كثيرة في كتب الحديث وغيرها.

ب- السنة الفعلية، وهي ما نقل عن النبي ﷺ من أفعال في بيان كيفية الصلاة والحج وغيرهما من العبادات، وقد قال ﷺ: «... وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» وقال ﷺ: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ» [سبق تخريجهما].

ج- السنة التقريرية، وهي أن يُفعل فعل بحضرة النبي ﷺ، أو بغير حضرته ويعلم به ويقره ولا ينكره، فإن ذلك يدل على جوازه؛ لأنه لا يقر أحداً على باطل من قول أو فعل أو اعتقاد؛ لأن الباطل قبيح شرعاً، ومثاله تقريره ﷺ لعمر وبن العاص على التيمم خوف الهلاك. ومن الأصوليين من ألحق عزم النبي ﷺ بفعله.

ثانياً: أحكام أقسام السنة باعتبار متنها

1. أحكام أقوال الرسول ﷺ

قال ابن عاصم رحمه الله:

قَوْلُ الرَّسُولِ عِنْدَ أَهْلِ الشَّانِ * فِي مَأْخِذِ الْأَحْكَامِ كَالْقُرْآنِ**

قول الرسول ﷺ عند الأصولين بمنزلة القرآن في الاحتجاج به متواترا كان أو خبر آحاد إلا أن المتواتر مساو للقرآن في القوة في الاحتجاج؛ لأنه قطعي الثبوت كالقرآن، وخبر الآحاد بالنظر إلى وجوب العمل به فهو قطعي، وبالنظر إليه كدليل جزئي خاص ظني لا يقوى قوة القرآن في الاحتجاج، لكن تؤخذ منه الأحكام كما تؤخذ من القرآن. والاحتجاج بالسنة القولية محل إجماع من المسلمين للآتي:

أ- وجوب طاعته ﷺ، وقد دلت على ذلك آيات كثيرة، منها قول الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: 132] وقول الله تعالى: ﴿وَمَا آتَايَكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَايَكُم عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: 7]

ب- وجوب اتباعه ﷺ، وقد دلت على ذلك آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿فَلِإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 31] وقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 158]

ج- بيانه ﷺ للقرآن الكريم؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ الَّذِي نَتْلُوهُ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: 44].

د- ما جاء به ﷺ وحي من عند الله؛ لقوله سبحانه تعالى: ﴿وَمَا يَنْصُوحِي الْفُؤَادَ﴾ [النجم: 3-4] فقد حصر الله تعالى ما ينطق به رسول الله ﷺ في الوحي.

2. أحكام أفعال الرسول ﷺ

توقف الأصوليون كثيرا عند حجية أفعال النبي ﷺ؛ حيث ذكروا أن لها حالات كثيرة، بيانها في الآتي:

أ- أن تكون من قبيل الأفعال الجبلية الفطرية التي تقضيها الطبيعة البشرية كمطلق الأكل والشرب والنوم والنكاح واللباس والقيام والقعود فلا يجب اقتفاؤه ﷺ فيه لارتباط الفعل بالعادة والجبلية، وهي تختلف بالشخص والزمان والمكان، ويقتضي الفعل النبوي الجبلي جواز الاقتداء به بقطع النظر عن هيئته وحالته التي وقع عليها، وذلك قول ابن عاصم رحمه الله: «وَهُوَ لِمُقْتَضَى الْجَوَازِ يَقْتَضِي».

وفي اتباع نهجه ﷺ في ذلك الفعل الجبلي تحصيل للسعادة الدنيوية والأخروية وذلك قول ابن عاصم رحمه الله:

وَالْفِعْلُ مِنْهُ إِنْ يَكُنْ فِي الْعَادَةِ * فَفِي اقْتِفَاءِ نَهْجِهِ السَّعَادَةُ**

وحسبُ المسلمين من النبي ﷺ في الفعل الجبلي الرضا لأنفسهم بما رضىه ﷺ لنفسه. وذلك قول ابن عاصم رحمه الله: «فَحَسْبُنَا مِنْهُ الرِّضَى بِمَا رَضِيَ».

ب- أن تكون من قبيل العبادات، وفيها التفصيل الآتي:

- أن يكون فعل النبي ﷺ في العبادات واقعا بدون سبب؛ بأن لم يكن امتثالا لأمر ولا بيانا لمجمل، فقليل يحمل على الوجوب وهو الصحيح عن مالك؛ لعموم أدلة الأمر باتباعه ﷺ، وقيل يحمل على الندب؛ لأن الأمر بالاتباع حقيقة في القول لا في الفعل، وقيل يحمل على الإباحة؛ لرفع الحرج عن الأمة في وجوب الاقتداء بالفعل، وقيل بالوقف بين الوجوب والندب؛ لأنهما الغالب من فعل النبي ﷺ، وقيل بالوقف فيهما إن ظهر قصد القربة فإن لم يظهر احتمل الإباحة، وفي هذا التفصيل قال ابن عاصم رحمه الله:

وَفِي الْعِبَادَةِ فَمَا دُونَ السَّبَبِ * قِيلَ عَلَى النَّدْبِ وَقِيلَ قَدْ وَجَبَ**

- أن يكون فعل النبي ﷺ في العبادات لأجل امتثال أمر دال على ندب أو وجوب فالحكم فيه حكم ذلك الأمر الممتثل، فإن كان للوجوب كان الفعل للوجوب، وإن كان للندب كان الفعل للندب، ومثاله صلاته وحجه ﷺ، فإنهما بيان لأمر واجب هو الصلاة والحج فيكون فعله للوجوب. وفي هذا قال ابن عاصم رحمه الله:

وَإِنْ يَكُنْ فِيهِ لِأَمْرٍ امْتَثَلُ * فَالْحُكْمُ فِيهِ حُكْمُ ذَاكَ الْمُمْتَثَلِ**

- أن يكون فعل النبي ﷺ مبيّنا لمجمل في القرآن فهذا يحذو حذو المبيّن، فإن كان المبيّن بالفتح واجبا كان المبيّن بالكسر كذلك، وإن كان مندوبا كان الفعل المبيّن كذلك، وإن كان مباحا كان مباحا. وذلك قول ابن عاصم رحمه الله:

وَإِنْ يَكُنْ مُبَيَّنًّا فَذَا الَّذِي * حَدُّوْا مُبَيَّنًّا بِهِ قَدْ احْتُذِيَ**

3. أحكام إقرارات الرسول ﷺ

قال ابن عاصم رحمه الله:

وَأِنْ رَأَى الرَّسُولُ فِعْلاً أَوْ سَمِعَ *** قَوْلًا وَلَمْ يُنْكِرْ فَذَا مِمَّا اتَّبَعَ
إِنْ كَانَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ عَادَهُ *** وَإِنْ يَكُنْ يَخْفَى فَلَا إِفَادَهُ

إذا رأى الرسول ﷺ فعلاً أو سمع قولاً من أحد ولم ينكره عليه وهو قادر على إنكاره ، والفاعل أو القائل مؤمن فإن ذلك الفعل أو القول يجوز اتباعه للفاعل أو القائل وغيرهما على الصحيح؛ لأن سكوت النبي ﷺ إقرار للفعل ، وهذا إذا كان ذلك الفعل أو القول لا يخفى عليه ﷺ ، فإن كان يخفى عليه عادة فإن سكوته عنه لا يفيد الجواز على الأصح ، كما قال ابن عاصم رحمه الله: «وَأِنْ يَكُنْ يَخْفَى فَلَا إِفَادَهُ» .

قال ولي الدين العراقي رحمه الله: واختلف فيما إذا فعل فعل بحضرة ﷺ أو في عصره واطلع عليه ولم ينكره على مذاهب أصحابها وبه قال الجمهور أنه دليل على جواز ذلك الفعل لذلك الفاعل ، وهل تتعين الإباحة أو يحتمل الوجوب والندب أيضاً لم يستحضر فيه السبكي نقلاً ومال إلى الإباحة . [الغيث الهامع 386/1]

ثالثاً: أحوال أفعال النبي ﷺ

1. فعله ﷺ للتأسي

قال ابن عاصم رحمه الله:

وَتَأَبَّتْ مَا فَعَلَ الرَّسُولُ *** لَنَا سِوَى مَا خَصَّهُ الدَّلِيلُ

الأصل أن كل ما فعله النبي ﷺ فإنه ثابت في حق أمته ، فيجب عليها التأسي به فيه سوى ما خصه الدليل به ﷺ؛ لأن الأصل استواء الأمة معه في الأحكام ، ولقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: 21] .

2. فعله ﷺ للبيان

قال ابن عاصم رحمه الله:

وَلِلْبَيَانِ الْفِعْلُ ذُو تَحْصِيلٍ *** مِنْ نَسْخٍ أَوْ تَخْصِيصٍ أَوْ تَأْوِيلٍ

فعل النبي ﷺ يحصل به البيان من النسخ والتخصيص والتأويل؛ فيُنسخ به القول من القرآن والسنة، ويخصّص به العامّ منهما، ويحمل به الظاهر منهما على التأويل؛ أي المعنى المرجوح. وقد سبق التمثيل لذلك بما يغني عن الإعادة.

3. ظهور تعارض بين فعله ﷺ وقوله

قال ابن عاصم رحمه الله:

وَإِنْ يُعَارِضُ فِعْلُهُ مَا قَالَا *** فَرَاغَ مَنْ رَجَّحَ الْمَقَالَ
لَكِنْ مَعَ التَّحْقِيقِ لِلتَّارِيخِ *** يُعَدُّ أَوَّلَ مِنَ الْمَنْسُوخِ

إذا ظهر للمجتهد تعارض بين فعل النبي صلى الله عليه وسلم وقوله ففي ذلك التفصيل الآتي:

أ- **إن جهل المتأخر منهما** ففي ذلك خلاف بين الأصوليين:

- ترجيح القول على الفعل، وهو القول الراجح كما قال ابن عاصم رحمه الله؛ لأن القول أقوى دلالة من الفعل.

- ترجيح الفعل على القول؛ لأنه أقوى في البيان.

- التوقف عن ترجيح واحد منهما على الآخر. [نشر البنود 9/2 بتصرف]

ب- **إذا حقق التاريخ في الفعل والقول** المتعارضين في الظاهر، وعلم المتأخر منهما فإن الأول منهما منسوخ بالآخر.

التقويم

1. أبين أقسام السنة عند الأصوليين مع الاستدلال والتمثيل.

2. أفصل القول في إقرارات النبي ﷺ.

3. أبين ما اشتمل عليه الدرس من أفعاله ﷺ وحكمها.

الاستثمار

قال الإمام الشاطبي رحمه الله: «... ومنها الوجه المشهور عند العلماء كالأحاديث الآتية في بيان ما أجمل ذكره من الأحكام؛ إما بحسب كفيات العمل أو أسبابه أو شروطه أو موانعه أو لواحقه، أو ما أشبه ذلك؛ كبيانها للصلوات على امتثالها في مواقيتها وركوعها وسجودها وسائر أحكامها، وبيانها للزكاة في مقاديرها وأوقاتها ونصب الأموال المزكاة وتعيين ما يزكى مما لا يزكى، وبيان أحكام الصوم وما فيه مما لم يقع النص عليه في الكتاب، وكذلك الطهارة الحدثية والخبثية، والحج، والذبائح والصيد وما يؤكل مما لا يؤكل، والأنكحة وما يتعلق بها من الطلاق والرجعة والظهار واللعان، والبيوع وأحكامها، والجنايات من القصاص وغيره، كل ذلك بيان لما وقع مجملاً في القرآن، وهو الذي يظهر دخوله تحت الآية الكريمة: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: 44]». [الموافقات 309/4].

– أحدد انطلاقاً من النص علاقة السنة بالقرآن، مع التمثيل.

الإعداد القبلي

– أحفظ متن الدرس القادم وأنجز الأنشطة المقترحة من الأستاذ(ة).